نظرة إجمالية عن كيفية تَعلُّمِ اللغة العربية في مدارس باكستان (دراسة نقدية)

أ. ناصر الدين مظهري

المدخل

قبل أن ندخل في الموضوع لا بد من التنبيه أن بحثنا يدور حول المدارس الأهلية في باكستان وخلفياتها، وبعبارة أخرى المدارس المستقلة عن سيطرة الحكومة الباكستانية منهجًا وتعليمًا، كما لا ننسى التطرق ولو قليلاً حول تعليم ووضعية اللغة العربية في المدارس الرسمية والجامعات خلال السطور. والبحث عن كيفية تعليم اللغة العربية في المراكز العلمية بأكملها - أعني الجامعات والدورات والأكاديميات والمدارس الرسمية وغيرها في باكستان- لا يكفيه كتابٌ مستقل ناهيك عن بحث موجز يقدم في المؤتمر، والبحث حول كل هذه المجالات يحتاج إلي وقت كثير وكتاب ضخم مستقل يستوعب كل المراكز العلمية والدراسية، وأعتقد أن الأبحاث المحددة المختصرة هي التي تتناول صلب الموضوع، وتشير إلى النقائص وتضع الإصبع على السلبيات، وفي نفس الوقت تقترح وتقدم حلولاً أساسية وإيجابية، وتبين العقبات والموانع التي تقف أمام المشروع اللغوي، وعندما تُقدَّم في المؤتمرات الدولية المقامة حول اللغة العربية تكون لها فائدة تامة وكاملة في تقديم الاقتراحات البنّاءة، وجلب إنتباه المتطوعين والمساندين لنشر هذه اللغة الكريمة في العالم الإسلامي.

إن اللغة العربية هيلغة التفاهم المشترك بين الشعوب الإسلامية على مختلف ثقافاتها وإتجاهاتها، وهي لغة مقدسة لكونها لغة القرآن ولغة الأحاديث النبوية الشريفة، وعلى مرِّ التاريخ كانت الصلة وطيدةً بين اللغة العربية واللغة الأردية والفارسية،حيثُ كان علماء الهند وباكستان يتقنون اللغة العربية بجانب اللغتين المذكورتين، أما بعد سيطرة الاستعمار

البريطاني على شبه القارة الهندية ضعفت اللغة الفارسية حتى أوشك بساطها أن يطوى من الهند وحلّت محلها اللغة الإنجليزية والهندية، بسبب محاولات الإستعمار البريطاني نشر اللغة الإنجليزية، حتى إن اللغة الأردية الفصيحة أصبحت ممزوجة باللغة الإنجليزية،وافتقدت نقائها وسلاستها الطبيعية القديمة.

وفي هذه البحبوحةقامت اللغة العربية على كونها لغة الدين والإيمان شامخة ترفرف راياتها أمام كل التحديات الإستعمارية، حيث أقبل عليها العلماء والأدباء ورجال الدين إقبالا واسعًا حتى برز من بينهم روادٌ وعلماءُ كثيرون في مختلف المجالات،وتركوا تراثًا إسلاميًّا غنيًا هائلاًللأجيال القادمة،وبعد عقود من تأسيس هذه المراكزالدينية مثل "مدرسة ديوبند" و"ندوة العلماء"- التي شُيِّدت كرد فعل لمنهج الاستعمار البريطاني- أينعت ثمار هذه المراكز فتخرج فيها آلاف منالدعاة والعلماء، ضمن دورهم الدعوي والديني والمذهبي، وكان لهم دور بارز حركي وجهادي وسياسي ضد الاستعمار البريطاني طوال عشرات السنين، حتى كان لبعضهم اليد الطولى في تشكيل دولة باكستان وتجزئتها من الهند.

ظهرت مدارس كثيرة بعد الاستعمار البريطاني فيالأقطار الهندية المختلفة، أشهرها: جامعة دار العلوم ديوبند في نيو دلهي، جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، جامعة القاسمية، المدرسة الإمدادية، حيات العلوم، جامعة الهدى، مدرسة الجامع، مدرسة الأمينة، مدرسة عبد الرب، جامع فتح بوري، مدرسة كاشف العلوم، مدرسة مفتاح العلوم، مدرسة نور الإسلام، ومدرسة دار العلوم، ومدرسة الإمدادية، الجامعة الرحمانية، الجامعة الإشرفية، المدرسة الحسينية١.

وكانت المراكز العلمية الأصلية في بلاد الهند هي:السند والملتان والدهلي

ولاهور وجونبور وكجرات وإله آباد ولكهنؤ والمناطق الريفية في شمال الهند، وفي كل من هذه المراكز المذكورة نشأالعشرات من العلماء البارزين وآلاف من التلامذة والمتبعين، ونشروا العلم واللغة العربية نشرًا واسعًا وقدموا خدمة جليلة للإسلام والمسلمين،حتى إن جامعة ديوبند الواقعة بنيو دلهي ربت في ربوعها مآت الطلاب من خارج بلاد الهند؛ كباكستان وأفغانستان وخيوه وبخارى وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت والصين والجزائر وبحر الهند والحجاز والأقطار العربية،ناهيكمن خدمتها في داخل الهند.٢

أما بعد تشكيل دولة باكستان ظهر كثير من المدراس والعلماء المنتسبينإلي جامعة ديوبند الواقعة في دلهي منهجًا وتعليمًا، وازدهرت فيها المجالس العلمية والدينية عن طريق هجرة بعض المحدثين والعلماء إلى مدن باكستان، وهذا الأمر أدى إلى تأسيس كثير من المدراس الدينية أمثال: دارالعلوم كراتشي، جامعة فاروقية، خير المدارس، جامعة العلوم الإسلامية، سراج العلوم، دار العلوم حقانية، أشرف المدارس، جامعة مفتاح العلوم، مخزن العلوم، خير المدارس وغيرها...، وتلك المدارس المتفرعة المتشعبة من الهندنهجوا نهجهم وخدموا خدمة جليلة في كل الميادين طوال السنين حتى أصبحت دولة باكستان تُحسب من أقوى الدول الإسلامية عسكريًا وإقتصاديًا وعلميًا، بعد استقلالها بقليل، أما بعد عقود من الزمن انكدر ذاك المنهل الصافي النقي، وبدأ تغير هائلفي التعامل السياسي والاجتماعيلهذه المراكز،فأصبحت تبتعد يومًا بعد يوم من الناحية العقلية والسلوكيةوالتفكير عن منهلها الأصلي تمامًا. لأن الأصول والجذور التي كانت مركزهاديار الهند كانت رسالتهم الحقيقية وشغلهم الشاغل تأهيل العلماء والدعاة ونشر الدين وتقوية اللغة العربية."بينما تحولت مدارس باكستان في الآونة الأخيرة إلي مراكز للتجنيد والخوض في المعارك الطائفية و المذهبية في داخل باكستان وخارجها، وعند ما نسوا رسالهتم الأصلية فقدوا منصات العلم والمعرفة والتفكير والتأهيل وتقهقرت استعداداتهم وملكاتهم فباتوا لا يُذكرون في محافل العلم والتفكير والتطور إلا نادرًا."٣

وبعد هذه المقدمة الموجزة نتطرقإلى خلفية المدارس التقليدية الباكستانية، وكذلك عن واقعها المعاصر؛ لكي نبحث عن أسباب التقدم والتخلف بشكل وجيز ومفيد.

الفصل الأول
نبذة عن تاريخ اللغة العربية والعلوم الإسلامية في المدارس التقليدية الباكستانية

تعتبر باكستان التى كانت جزءًا من الهند من البلدان التي وصل إليها الإسلام في وقت مبكر جدًا، ويحدثنا التاريخ عن الفتوح المباركة التي قام بها محمد بن قاسم الثقفي (٦٢: ٩٨ ه - ٦٨١ : ٧١٧ م) في بلاد السند في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان، وهي جزء من الأرض التي قامت عليها دولة باكستان.

وأظهر أدوارها التاريخية بدأت بالفتوحات الإسلامية وأخصها تلك التي توغل فيها الغزنويون ومن جاء من بعدهم بهذه البلاد منذ أواخر القرن الرابع الهجري وصحبهم فيها جملة من العلماء والمؤرخين والرحالة المسلمين الذين درسوا أحوال الهند وكشفوا عما كان بها من حضارات ومدنيات عريقة تقصوا أسسها وتفصيلاتها٤.

وبعد فتح مدينة كراتشي التي كانت تسمى في ذاك الوقت الديبل٥المشرفة على مصب نهر السند سنة ٨٩ ه عند إبن الأثير٦وسنة ٩٠ ه عند الطبري٧وسنة ٩٢ ه عند اليعقوبي٨وسنة ٩٣ ه عند إبن كثير٩ وتخليصها عن حكم داهر- كانت البداية الأولى لمحمد بن القاسم في أن يواصل فتوحاته في نشر الإسلام في تلك البقعة.١٠

عندما نتكلم عن تاريخ العلم واللغة العربية في باكستان لا نستطيع البحث عنها مجزئة عن الهند لأن خلفية كل هذه العلوم والفنون التي نراها في باكستان منهلها الأصلي في ديار الهند، والحديث عن تاريخ العلم وحتي عن تاريخ اللغة العربية وعن مؤلفات علماء الهند يحتاج إلى كتاب مستقل وجهد كبير، و لا يسع لهذا البحث إلا أن نشير إلى موجز صغير عن الأدوار المختلفة لمنهج التعليم في ديار الهند:

الدور الأول:يبدأ هذا الدور من القرن السابع الهجري وينتهي في القرن العاشر حيث بدأ الدور الثاني فكانت دراسة الفنون الآتية لازمة في هذا الدور، وهي فنون الصرف والنحو والبلاغة والفقة وأصول الفقة والمنطق والكلام والتصوف والتفسير والحديث١١.

الدور الثاني:يبدأ من القرن التاسع الهجري حيث استوطن الشيخ عبد الله دهلي، والشيخ عزيز الله سنبهل،

ورحب بمجيئهما الملك اسكندر لودي، وكان يحضر مجلسهما، وذاع صيت الشيخين بسرعة في أنحاء الهند لما كانا يتمتعان به من تفوق علمي، وأجريا تعديلات في منهج التعليم ورفعا مستوي الفضيلة، وفي هذا العهد ارتحل إلى الحجاز أكبر عالم في عصره وهو الشيخ عبد الحق المحدث من الهند ومكث في الحجاز ثلاث سنوات، وأكمل دراسة الحديث النبوي الشريف على علماء الحرمين ونقل هذه الثروة العلمية، فعكف هو وأولاده النبغاء على نشر هذا العلم ولكن لسوء الحظ لم ينل هذا العلم القبول في عهدهم، فكان هذا الشرف حليف الشيخ ولي الله الدهلوي، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء١٢.

الدور الثالث:كان التغيير الذي حدث في منهج التعليم في الدور الثاني قد أثار آمال الناس وطموحهم ورفع مستوي العلم، فقاموا إلى رفع هذا المستوى إلى درجة أعلى، فكان قدوم الشيخ فتح الله الشيرازي باعثا جديدًا وحافزًا على التقدم في التعليم في المعاهد التعليمية، فَقَبِل العلماء التعديلات التي أجراها الشاه فتح الله الشرازي في المنهج الدراسي١٣، وفي هذه المناسبة كانت هناك خدمات جليلة للعلماء أمثال الشيخ وجيه الدين العلوي والقاضي ضياء الدين وملا جيون وغيرها، وكل هذا كان بجهود العلامة فتح الله الشيرازي الذي انتشر تلامذته وتلامذة تلامذته في أنحاء الهند وروجوا هذا المنهج١٤،وكان الشيخ ولي الله الدهلوي آخر وأشهر عالم لهذا العصر، وقد زار الشيخ ولي الله الحجاز، وقرأ الحديث الشريف على الشيخ أبي طاهر المدني عدة سنوات، ثم نقل هذا العلم إلى الهند ونشط فيه فخلف أثرًا خالدًا١٥.فقد أنشأ وأعد حسب ذوقه وفكره منهجا جديدًا، وبسبب هذا الدور انتقل الثقل العلمي من مدينة دلهي إلى مدينة لكهنؤ١٦

الدور الرابع: يبدأ هذا الدور من القرن الثاني عشر للهجرة، وقد قام بتأسيسه الشيخ نظام الدين بقوة وعزم وهمة، ففاق جميع المناهج وقهر الألباب،وجدير بالذكر أن في بلاد الهند وقبل خمسين عامًا قامت ندوة العلماء بتغيير المناهج الدراسية وأجريت تعديلات جوهرية في منهج التعليم١٧،ولا يزال ذاك المنهج يطبق في المدارس الباكستانية.

وخلال كل هذه الأدوار المذكورة كان لعلماء الهند مؤلفات قيّمة جدًا في مجال العلوم الإسلامية واللغة العربية،حيث كتبوا عشرات الكتب ووضعوا شروحاً كثيرة على كتب النحو الصرف والشعروعلم الاشتقاق والبلاغة والأدبوالعروض والقافية والإنشاء والشعر،حتي برع منهم شعراء وأدباء يشار إليهم بالبنان١٨.

لم يكن نظام التعليم القديم منزهًا عن النقائص ومواطن الضعف كليًا، لكنه كان يحمل بعض خصائص ومزايا خاصة بفضل ما كان يتسم به المسؤلون عنه والداعون إليه من صفات شخصية وروح دينية وطبيعة امتيازية١٩، وقد انتقلت بعض هذه الخصائص إلى طبقات المعلمين والمدرسين وتلامذتهم.

أهم المزايا المحفزة للمدارس في القديم

علاقة الحب والمحبة:في النظام المدرسي الديوبندي القديم –وفي بعض المدارس الحالية–كانت علاقةالأستاذ والطالب هي علاقة المحبة والألفة والأخلاق، وكان الطالب متواضعًا يحترم الأساتذةوالطلاب احترامًاحقيقيًا نابعًا من أعماقه دون أي تصنُّع أو تكلُّف،وهذه التربية السليمةكانت تجنبهم من ازدواجية الشخصية، يقول الحسن الندوي حول هذا الموضوع: أن تلك العلاقات التي كانت في القديم بين الطلاب والمدرسين لا يوجد لها مثيل في العصر الحاضر وفي النظام التعليمي المعاصر؛ حيث كان الطلاب مثل أبناء الأساتذة بل أعز منهم٢٠.

التكريس على العمل:كان أكثر الطلاب متطوعينوشغوفين بالعلم والمعرفة دون أن يكون هناك سبب أو أسباب أخرى تجبرهم على اللجوء إلى المدارس مثل العَوَز أو غيره. وكما قال الشيخ الحسن الندوي: أن الأساتذة أيضًا كانوا منهمكين ومستغرقينفي تدريسهم إلى حد لا يمكن تصوره، فكانوا يخصصون معظم أوقات حياتهم وجل وقت نهارهم وليلهم للتدريس٢١

تشجيع الأمراء والملوك:

وكانت الميزة الأخرى لنظام التعليم القديم أن الملوك والأمراء وولاة الأمر وحكام المدن كانوا يعتبرون خدمة العلماء المخلصين والأساتذة والمربين الأجلاء، وتوفير سبل راحتهم سعادةً وشرفًا لهم

ووسيلة لنجاتهم في الآخرة٢٢.

اختيار الطلاب:

كانوا يختارون الطلاب من أجل حمل هذه الراية الشريفة،حيث كانوا يُلَقَّون من البداية للطالبأنهإذا لم يجد في نفسه الأوصاف التي تليق بمواصلة هذا الدرب المبارك فعليه أن يرحل ويريح نفسه والآخرين؛حيث يقول عبد الحي اللكنوي رحمه الله "فإن آنست من نفسك فهما وصدقا ودينا وورعًا فداوم، وإلا فلا تفعل، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنكَ مُخلِّطٌ مخبطٌ مهمل لحدود الله فأرحنا منك"٢٣ حتى إن بعض العلماء كانوا يأخذون البيعة من الطلاب الجدد على التعليم والدرس والإخلاصوأن لا يشوبوا علمهم وعملهم بالدنيا ومتاعها٢٤.

الإخلاص في العمل :

كان الإخلاص والتقوى أساس علمهم وعملهم،وماكانت الدنياأكبر همهم ولا مبلغ علمهم، حيث كانوا قوّامون في الليل وصائمون في النهار، وفي وقت الجهاد فرسان الميدان٢٥.

التربية مع التعليم:

كان الأساتذة دوماً متفاعلين ومشغولين مع الطلاب، ما كانوا يكتفون بإلقاء الدروس فقط وإنما كان هدفهم الأسمى أن يروا الجانب العملى للعلم في واقع الحياة، فكانوا يركزون على تربية النفس مدى الدراسة، وهذا الذي كان له التأثير العظيم على الشعب وعلى الإصلاح في الجامعة٢٦.

مواجهة الأفكار بالأفكار:

كانوا يواجهون الأفكار بالأفكاربعيدًا عن كل أنواع التطرف والعنف والتهديد،حيث نرى أن في ديار الهند خاصة بعد سيطرة الاستعمار البريطاني ظهرت تيارات عديدة مثل تيار التبشيريين،وتيار سيد أحمد خان والقرآنيين والقاديانية والبريلوية واللامذهبية وأهل الحديث وغيرهم، وعلماء الهند قابلوا كل هذه التيارات الفكرية بأفكارهم وأقلامهم وألفوا مؤلفات ومقالات ونظموا الندوات والمؤتمرات، وقد كانت لهذه المواجهات السلمية والفكريةأثر بالغ في نفوس المسلمين في ديار الهند وذالك قبل انشقاق باكستان٢٧.

عدم جعل المدارس وسيلة للحكم والسياسة :

رغم أن علماء الهند ساهموا إسهامًا فعالاً في النشاطات السياسية والفعاليات الاجتماعية، إلا أنهم لم يجعلوا المدارس والمنابر سُلّمًاووسيلة للوصول إلى الحكم والرئاسة٢٨.

الهمة العالية للطلاب:

كفائات الطلاب وقدراتهم كانت عالية ومرتفعة، فمع الاجتهاد في الدروس كانوا يعرفون واقع الحياة ويتماشون مع المستجداتوالواقع المعاصر، فلذلك أصبحت كتبهم وتآليفهم نافعةً في أقطار الهند وحتى في كل أنحاء البلاد الاسلامية، ضمن هذا كان جُلّ همهم الدفاع عن الدين والإسلام ضد أعدائه الأصليين، حيثلم يصرفوا قواهم فيما بينهم وكانوا يبتعدون عن التعصب في المذهب والمشرب،فكانت تصرف كل طاقاتهم ومواهبهم في الذب عن الإسلام ونشر دين الله عز وجل " تحت اسم الدعوة الإنسانية والتي تشتمل على الاجتماعات بطريقة فكرية سهلة القبول وكذلك على رسائل وأبحاث بمختلف اللغات الحية القديمة"٢٩.

التمسك بالماضي والحاضر:

بعض المدارس مزجوا بين اللغة العربية القديمة واللغة العربية الحية المستعملة الحديثة في الدول العربية، وبعبارة أخرى جمعوا بينالعربية الجامعةوعربية

المدرسة الكلاسيكية،

ونحن نرى هذا التأليف والتلفيق فيجامعة لكنهو في ديار الهند. حتى في زمن كادت الصلات تنقطع بين الهند والبلاد العربية،الذي لم تكن البضاعات العلمية والمراجع التاريخية والثقافية متوفرة في الهند أنذاك٣٠.وبذلك حيث برزت عباقرة في اللغة العربية والفكر الديني، وتآليف هؤلاء تدل على مستواهم اللغوي والفكري، أمثالأبو الحسن علي الحسني الندوي، أبو سليمان الندوي،مباركفوري وأمثالهم الذين شهدأدباء العرب على فضلهم وبراعتهم في كتابة اللغة العربية.

التماشي مع العصر:

كانوا يتماشون مع الركب العلمي ومستجدات العصر حيث كانوا يقومون بتغيير المناهج الدرسية ويعيدون النظر في النواقص والأساليب، وهذه التغييرات الجوهرية في المناهج ولأساليب كانت تعد من أهم أسباب التقدم العلمي والفكريفي ديار الهند٣١.

العلاقة القريبة بين اللغتين:

اللغة الأردية مزيجة من الكلمات العربية والفارسية والتركية والسنسكريتية، وهناك مآت الكلمات التي بقيت على شكلها العربي في اللغة الأردوية٣٢،وهذه الثقافة والكلمات المشتركة الكثيرة جعلت اللغة العربية محببةً وسهلة وجذابة لدى أهل شبه القارة الهندية، علمًا أن اللغة الأردوية التي هي لغة وطنية في باكستان متقاربة جدا من اللغة العربية وتشمل كل حروف الهجاء العربية وتكتب من اليمين إلى اليسار مثل العربية، مما يجعل تعلمها سهلاً للمواطنين الباكستانيين بجانب حبهم الشديد لهذه اللغة كونها لغة الرسول والقرآن الكريم،ولكن بعد الإستعمار البريطاني فقدت لغة الأردو صفائها ونقائها الأصلي وأصبحت مزيجة ومختلطة باللغة الإنجليزية أكثر مما يلزم.

الكتب المنهجية

والحقيقة أن في كل قرن من القرون الماضية زاد الناس أشياء ونقصوا أشياء في هذه الكتب، حتى جاء الشيخ نظام الدينالسهالوي قبل قرن من الزمان وأحدث في دروس الهند أشياء تلقاها الناس بالقبول، ولم ينقص إلى الآن منها شيئ،وكما نشاهد هذه الكتب الدراسية التي نذكرها هنا ٩٩٪ منها باللغة العربية، وهذه الكتب بقليل من التغيير ما زالت تقرأ في هذه المدارس الباكستانية.

- الصرف: الميزان، المنشعب، وبنج كنج، زبدة، صرف مير، الفصول الأكبرية، الشافعية.
- النحو: نحو مير، شرح المأة، هداية النحو، الكافية، شرح الكافية لملا جامي (شرح جامي).
- الأدب: تحرير الإنشاء، نفحة العرب، مقامات حريري، المعلقات السبع، ديوان المتنبي، ديوان الحماسة
- البلاغة: المختصر، المطول.
- المنطق: الصغرى، الكبرى، الإيساغوجي، التهذيب، شرح التهذيب، قطبي، سلم العلوم، مير زاهد رساله، ملاجلال.
- الحكمة: شرح هداية الحكمة للمذي، شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازي، الشمس البازغة.
- في الرياضية: خلاصة الحساب باب التصحيح، تحرير الإقليدس، تشريح الأفلاك، القوشنجية.
- الفقة: شرح الوقاية، هداية الفقه، الهداية.
- أصول الفقة: نور الأنوار، التلويح، مسلم الثبوت.
- الكلام: شرح العقائد للتفتازاني، شرح العقائد للدواني، شرح المواقف.
- التفسير: الجلالين، البيضاوي إلى أخر سورة البقرة، تفسير الصابوني.
- الحديث:مشكاة المصابيح، الصحاح الستة (بشكل سريع في آخر السنة الدراسية)
- المناظرة:الرشيدية٣٣.

الفصل الثاني
حول أسباب التخلف اللغويو العلمي

وكما أن لكل إتمام نقصان فهذه المدارس –خاصة المدارس التقليدية في باكستان- هبطت بعد صعودها ورقيها وأصبحت متخلفة من الناحية العلمية والفكرية، ونحن من خلال مشاهداتنا وكذلك من خلال الكتب العلمية المعاصرة والمعتبرةنشير إشارةًنقدية بناءةإلى أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التخلف والتقهقر مع بعض الميزات التي ما زالت تتمتع بها هذه المدارس.

مدارس باكستان مالها وما عليها

النظام التعليمي في مدارس باكستان يمتاز بخصائص يجدر بنا أن نتعرف عليها ولو موجزًا، رغم أن الكتب والخصائص والمنهج تحتفظ بطابعها القديم إلا أن هناك بعض النواقص والسلبيات ظهرت فيما بعد، وأدت إلى الانحطاط والتخلف عن القافلة العلمية المعاصرة والمتقدمة، وهذه الخصائص والنقائصشاهدتها بنفسي خلال السنوات التي قضيتها في مُدنِباكستان.

أولا:من أهم ميزات الدراسة في المدارس هي المباحثة والتكرار للدروسيوميًا دون إهمال أو تقصير بشكل الحلقات؛ حيث لانجد هذه الميزة فيكثيرمن مراكز أخرى،وفي الحقيقة هي تعتبر من أنجح الطرق التعليمية المتبعة للتعلم في أنحاء العالم،وتعتمد هذه الميزة على تكرار ومناقشة الدرس الماضي وتحضير الدرس الآتي من قبل طالب أو طالبين دومًا وذالك بشكل الحلقة،وهذا يجعل الطلاب يأخذون فكرة عن الدرس الجديد قبل الدخول فيه،وكذلك ينضجُون ويرسخون الدرس القديم في أذهانهم، وهكذايصير الطالب المكرِّرَ والمناقشَمؤهلاً ومستعدًا للتدريس في السنوات القادمة، لأنه يُدرِّس ويدرسُ في نفس الوقت،وهذا الأمر يمهد

طريقه بأن يكون أستاذًا ناجحًا في المستقبل،ولوكانت المباحثة بالمناوبة بين الطلاب لكانت أنفع للجميع، لأن في الأغلب يكون المناقش والمكرر طالبًا واحدًا والبقية يستمعون له.

ثانيًا:متابعة الدروسوالمذاكرة والمناقشة في كل مساء؛ حيث لا يترك الطالب المدرسي درسه متراكمًاومهملاً بعد الانتهاء من الدرس، بل يلزم نفسه بمراجعة الدرس السابق وفهمه قبل الدخول إلى الدرس الجديد.

ثالثًا:أسلوب تلقي الدروس من قبل الطالب يكون على طريقة تقليديةدون أى تغيير، فهم يجلسون حلقات على الأرض والمدرسُ يلقي دروسه من المكان المرتفع قليلاً سواء كان في الصف أو في القاعة أو في مكان آخر،فهم لا يجلسون على الكراسي أو المقاعد كما في الجامعات، والقدامى عندما استفادوا من هذا النهج ، إلا أن سببه الحقيقي كانقلة أسباب ووسائل العيش.

رابعا:إن المناهج والكتب الدراسية محددة ومبرمجه، وهذا يجعل التعلم عميقًا مركزًا، ولا بد أن لا ننسى الجانب السلبي لهذا الأسلوب، لأن الطالب خلال السنوات الدراسية لا يتعرف على كتب أخرى ويكون جل همه حل الكتب المنهجية فقط.

خامسًا:أكثر المصادر والكتب المنهجية قديمة، حيث كتبت قبل عصور من الزمن بعكس الجامعات التي تتجدد فيها المصادر حسب المستجدات العلمية الحديثة، وهذا أيضًا نوع من الإفراط في التمسك بنهج القدامى، لأن الكتب والمناهج وسيلة للوصول إلى الغايه، وليست هدفًا، فلابد من تغييرها حسب الظروف والزمان والمكان."فبدلا من إدخال ودرج الكتب الجديدة في المنهج يدخلون الكتب القديمة حسب أذواقهم ونهجهم".٣٤

سادسًا:في كثير من المدارس الصغيرة وغير المشهورة لا تعتمد الدراسة على عامل الزمن، فالوقت مفتوح أمام الطالبحتى يتمكن من اجتياز المراحل التى يريدها بسعيه وحسب ظروفه،ولهذا الأسلوب له إيجابيات وسلبيات، لأن الطالب من جانب يواصل دراسته متى شاء وكيفما شاء بحسب ما يبذله من جهد ومثابرة، و من ناحية أخرى فيه تضييع للوقت وعدم الجدية.

سابعًا:العلوم التى تدرس في المدارس متنوعة ومختلفة،فالطالب يتعرف على كثيرٍ من العلوم التى تؤثر في تكوين قدرة الإستنباط والاجتهاد على نهج القدامى، كالمنطق والكلام وعلم الرجال والأدب العربي والتفسير والحديث وغيرها، ولكن كما أشرنا آنفًا أنها بعيدة عن المستجدات والتحليلات والمفاهيم الحديثة وواقع الحياة، وكل هذه المساعي والبحوث – بتعبير دكتور يوسف القرضاوي – يغلب عليها الطابع النقلي التقليدي، فهي لا تخاطب المثقف المعاصر.٣٥

ثامنًا:هناك فترات في الصيف تعطي للطلاب عطلة لمدة ثلاثةأشهر أو شهرين. فبدلا من استغلال هذه الفرص في النشاطات والمخيمات العلمية واللغوية والسفر للترفيه والوعظ والإرشاد،كثيرمن الطلاب يرجعون الاشتراك في مخيمات التعليم العسكري والتدريبات القتالية، وذلك بتشجيع بعضالمدرسين المنتمين إلى جماعات وطوائف معينة.٣٦

تاسعًا:تعتمد المدارس على التبرعات والصدقات من أهل الخير والمتبرعين في باكستان وخارجها،حيث إن غالب الطلاب من العائلات الفقيرة والمحرومة، فالمدرسةلا تتكفل براتب شهري مناسبٍ للطلاب،حتى يتفرغ الطالبٌ للدروس وتعيش فارغ البال من الناحية المادية. وهذه الفقر والحرمان الواسعة النطاقتجعل بعض الطلاب يحسدون ويهجمون على أموال الآخرين، وكما قال الدكتور بشير أحمد أنصارى:عندما تمت عسكرة المدارس الباكستانية و ملئت جيوب الطلاب ببعض الفلوسوفتحَأمامهم باب رزق جديد وطُلب منهم أن يهجموا على كابول، ركبوا السيارات أفواجًا أفواجًا دون أي تردد ،وساهموا في إسقاط دولة المجاهدين الحديثة التأسيس وخلفوا دمارًا شاملا للشعب والاقتصاد.٣٧ومع ذلك نستطيع أن نقول إن تلك المدارس تُنجب عدداً لابأس به من العلماء الحياديين والمعتدلين الذين لا يكتفون بالمنهجالدراسي المقرر ويتابعون دروسهم في الجامعات يقرأون ويحققون.

عاشرًا: يغلب على المدرسين والطلاب الطابع التقليدي غلبة هائلة،حيثإن الطلاب مضطرون أن يقبلوا الآراء التي تطرحوالكتب التي تقرأمن

قبل الأستاذ أوالشيخدون أي نقد أو إعتراضأو تدقيق، لأن الاعتراض والنقد والمناقشة مع الأستاذ تعتبر عندهماستهتار ودناءة، ولا شك أن هذا يسبب الجمود الفكريو العلمي وعدم المداراة والتسامح تجاه الآراء المختلفة والمتفاوتة، والحال أننا يومنا هذا بحاجة ماسة إلى التسامح المذهبي والفكري، لأن من مصادمة الأفكار تظهر بوارق الحكمة،والمؤسسات التي تريد أن تتطور وتزدهر لابد لها أن لا تغلق أبوابها للانتقادات والاقتراحات٣٨.

إحدى عشر:لا يستفاد من وسلائل الإعلام والمجلات والجرائد الحديثة في تطوير اللغة العربيةرغم أن وسائل الإعلام تعتبر من الوسائل المهمة في تطوير اللغة العربية المعاصرة، فالطالب رغم أنه يدرس سنوات كثيرة في الأدب العربيمع ذلكيكون عاجزًا عن فهم الأخبار وعن فهم الاصطلاحات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية الحديثة، وهذه العزلة من العالم يجعل المدرس والطالب غافلاً عن واقع الحياة الذي يعيش المسلمون فيهمن جانب، ومن جانب آخر تبعدهعن اللغة الحية المستعملة العلمية والإعلامية،فالعالم الذي يكون بعيدًا عن لغة اليوم وعن الفعاليات العلمية الحديثة في العالم الإسلاميلا يمكن أن يتطور علمه وينكشف فكره ولا ينجح حتى في تخصصه،والأسوأ من كل هذا أن الغفلة الكثيرة عن الوقائع الراهنة وفقدان الوعي السياسيتجعل المدارس والمراكز الدينية عرضة للاستثمار السياسي والطائفيمن قبل الدول المختلفة، ونحن نرى أن كثيرًا من المدارس والمراكز الدينية والمذهبية في عصرنا الحاضر أصبحت تخدم بعلم أوبلا علمبالاتجاهات الخطيرة والمتطرفة في العالم.

ثلاثة عشر:تعليم اللغة العربية تُقدم من خلال اللغة الوسيطة وهي اللغة الأردية، وهي اللغة التي يجيدها الدارسون. وتعليم اللغة الأجنبية ينبغي أن يتم في إطار اللغة نفسها دون الاعتماد على لغة ثانية أو مساعدة، حتى يتاح للطالب أن يعيش في جو اللغة نفسه، ويتمكن من بناء مهارته اللغوية باعتماده غلى جهوده الذاتية في فهم اللغة والتعبير بها حديثًا وكتابةً، وقد أثبتت التجربة أن الطالب لا يستطيع أن يتخلص من إطار لغته إذا استخدمت وسيطة في تعلم لغة أخرى، ومن الخطأ الواضح أن نشرح الكلمات ونبين معناها بواسطة لغة أخرى.٣٩ومع الأسف الشديد هذا الخطأكما شاهدتيرتكبفي أفغانستان وبنغلاديش وفي تركياوفي غيرها من البلدان.

أربعة عشر: تركواأعداء الدين والإسلام وانشغلوا فيما بينهم، حيث تحولت قاعات المدارس إلى ميدان للمناظرة بين المذهبي واللامذهبي، وبين السلفي والبريلوي، وبين المقلد لمذهبٍ وبين تارك له...ويكتبون رسائل صغيرة باللغة الأردية والعربية ردًا على بعضهم البعض، يكفرون ويفسقون ويبدعونبعضهم بعضًافي المساءل الفرعية الفقهية والعقدية،المختلفة بين العلماء قديمًا وحديثًا، وكما شاهدت بأم عيني أن كثيرًا من هذه المناظرات والمكاتبات تقام على نيةالتفحيم والتغلب على الخصم،دون نية الوصول إلى النتيجة البناءة.

خمسة عشر: لا توجد أي علاقات علمية وثقافية بين المدارس التقليدية وبين الجامعات الحديثة المتطورة، مع أن باكستانفيها كثير من الجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية تدريسًا عاليًا، حتى إن هناك حوالى أربع عشرة جامعة تمنح للطلاب الشهادات العليا في اللغة العربية،وهذا الاعتزال من جهة يسبب التخلف العلمي والثقافي واللغوي، ومن جهة أخرىيسبب التنافر والعلاقات الباردة بين الطرفين،ولو استطاعوا التلفيق والتعاون في اللغة العربية لارتقى مستواهم وأصبحوا مثالاً ناجحًا في التعاون العلمي والثقافي،وهذا الذي فعلتهندوة العلماء في الهند سابقًا، وكما قال الحسن الندوي: "ندوة العلماء كانت تتوسط بين المدارس القديمة التي تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضربًا من التحريف ونوعًا من البدع، وبين الجامعات المدنية التي تقدس الجديد وتستهين بكل قديم.٤٠وما أردناه هنا التلفيق اللغوي والعلمي والثقافي.

رغم أن هناك كثير من الأمور تجدر ذكرها إلا أني اكتفيت بذكر هذه الأمور المهمة والحل أيضًا يكمن في إصلاح هذه

النقائص التي لا أريد أن أكررهاتحت عنوان جديد.

وضمن هذه المدارس المذكورة توجد في دولة باكستان مراكزَ أخرى مثل الجامعات والدورات اللغة العربية، والجامعات الرسمية تؤهل الأساتذة والمتخصصين والمعلمين في مجال اللغة العربية، معأن للجامعات أيضًا نواقصها التي لا يسع ذكرها هنا، والدورات تجلب أناسًا يريدون الذهاب إلى الدول العربية بحثًا عن الرزق والعمل،لكن في هذه الدورات يتم التركيز على المحاورة دون أى تطرق إلى القواعد والمتون.

النتيجة

أولا:المدارس التقليدية في باكستان مازالت تنهل من مناهل مدارس الهندالغنيةباللغة العربية الفصيحة، ومازال٩٩٪ من الكتب المقررة باللغة العربية،وكما نرى أن الكتب المنهجية خاصة في مجال اللغة العربية كتبٌ قيمة، ثقيلةومُشبِّعة من الناحية اللغوية والتركيبية، ومزج هذا الأسلوب القديم بالتكنولوجيا الجديدة المستخدمة في مجال اللغة وبالمستجدات العلمية واللغوية الحديثة تجعل الطلاب ذوجناحين،ويوصلهم إلى الغاية المنشودة في التعبير عن آرائهم ونشر رسالتهم وكتبهم وتعريف ثقافتهم العلمية واللغوية في العالم،وهذا الذي فعلته "ندوة العلماء"قبل عقودفي الهند، فلا بد للمدارس أن يحذوا حذوهم وينهجوا نهجهم حتى ينضموا إلى الركب العلمي واللغوي المعاصر.

ثانيًا: انتهي دور الاستعمار البريطاني الذي فرض لغته وثقافتهعلى الشعب المسلم الهندي والباكستاني خلال عقود كثيرة،وبعدما أصبحت اللغة الإنجليزية لغة التعليم في المدارس الرسمية أتقنها كل من تخرج من الثانوية والجامعة، بينما أصبحت اللغة العربيةالتي كانت سائدةبين أهل العلم وفي حلقات التعليم والتربية والمنبر والمحرابلغة منعزلةً،مع كونها قريبة جدًا إلى اللغة الأردية قراءة وكتابة، خفيةوغريبة ومحصورة بين جدران المدارس،حتى بدأوا يتفاهمون مع العرب باللغة الإنجليزية،وبرأيي أحسن الطرق إلى سيادة اللغة العربية بين الشعب الباكستاني هي جعل اللغة العربية مادة إجبارية في المدارس الرسمية.

ثالثًا:المدارس التي تكلمنا عنها لها دور لا يمكن تجاهله في سبيل تعليم اللغة العربية ونشرها، حيث أنجبت المدارس التقليدية سواء كان في الهند أو في باكستان وأفغانستان وبنغلاديش في تاريخها الطويلعشرات الشخصيات العلمية والفكرية واللغوية ممن كان لهم الدور المهم في سبيل تعليم الدين ونشر اللغة العربية الفصيحة؛ سواء عن طريق مؤلفاتهم التي كتبت باللغة العربية أو حتي باللغة الفارسية والأردية، فما هي إلا ترجمة أو شرح أو تحقيق للمصادر العربية،ضمن المؤلفات التي كتبوها باللغة العربية في مجال التفسير والحديث وغيرها، حيث إن لهم باع طويل وجهد واسعوقيّمفي مجال النحو والصرف والشعروعلم الاشتقاق والبلاغة والأدبوالعروض والقافية والأدب والإنشاء.

وختاما لا بد من التنبيه أن التجاهل والتعامي عن النقائص الطارئة في كيان هذه المدارس من قبل المسؤلين عنها وإغلاق باب النقد ورد كل الإقتراحات والنصائح البناءة، تزلزل كيان هذه المراكز وتجعلها عرضة للفناء،إذنلابد من تأهيل جيل جديديتحمل المسؤلية وينفخ الروح الجديدةفي هذه المراكز العلمية من الناحية العلمية واللغوية والفكرية؛ حتى تسير مع ركب الثقافة والعلم بمنئى عن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية، التي قويت ونشطت وأصبحت خطرًا كبيرًاعلى الأمة المحمدية.

المصادر

١- الزركلي: الأعلام، المجلد ٧، ترجمة محمد بن قاسم الثقفي، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، جـ: ٦.
٣- إبن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، لبنان ، ١٩٨٧م.
٤- إبن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، جـ ٩.

المراجع

١- الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، المنصورة، مصر.
٢- الحسن الندوي: المسلمون في الهند، دار إبن كثير، دمشق، ١٩٩٩م.
٣- بشير أحمد أنصاري: مذهب طالبان، انتشارات سعيد، كابول، ١٣٩١.
٤- حمد بن ناصر الدخيل: قضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، نشر الإمام، الرياض، ١٩٩٤.
٥- لكنوي: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة إبن تيمية، القاهرة.
٦- عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف) مراجعة: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دمشق، ١٩٨٣.
٧- محمد طيب: (الرئيس الأسبق لجامعة دار العلوم ديوبند) علماء ديوبند، اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، ترجمة من الأردو: نورعالم خليل الأميني، الهند.
٥- محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة، مجلد ١، ١٩٥٧.
٦- يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.

المصادر الأجنبية

٧- أحمد رشيد: إسلام، نفت وبازى بزرك نو در آسياى ميانه.
٨- اكبرشاه بخاري: مقالات عثماني، بيت العلوم، لاهور، باكستان.
٩- محمد محق: چشم هارا بايد شست، القاهرة،١٣٩٠.
١٠-عبد الشكور: تذكرة الظفر، مكتبة الكمالية، لاهور، باكستان، ١٩٧٧.

الهوامش

١ محمد طيب: علماء ديوبند، اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي، صـ: ١٦
٢الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ٢٦٢
٣محمد محق: چشم هارا بايد شست، القاهرة، ١٣٩٠صـ: ١٥٨.
٤محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، جـ ١، صـ: ٥.
٥(الأعلام ٧\٢٢٥ ترجمة محمد بن قاسم الثقفي الحاشية رقم ١)
٦(الكامل في التاريخ، ٤٥٣٦ حوادث سنة ٨٢ هـ)
٧(تاريخ الرسلوالملوك ٦\٤٤٢) حوادث سنة ٩٠ ه)
٨(تاريخ اليعقوبي ٢\٢٨٨-٢٩٠)
٩(البداية والنهاية ٩\٩٧-١٠٦)
١٠(فتوح البلدان ٤٢٠-٤٣٣)

١١(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١٠٩)

١٢(نفس المصدر)

١٣.(عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" صـ: ١٧)

١٤(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١١١) (عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" صـ: ١٧)

١٥(عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" صـ: ١٧)

١٦.(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، ص: ١١١)

١٧(مجلة : İstem، عدد: ٢١، ص، ٢٦٤)

١٨(عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف"صـ: ١٧)

١٩.(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١١٣)

٢٠(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١١٨)

٢١.(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١١٨)

٢٢(نفس المصدر ١١٩)

٢٣(اللكنوي:الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، صـ: ١٨)

٢٤(محمد اكبرشاه بخاري: مقالات عثماني،ص- ٣١٤)

٢٥(الحسن الندوي: المسلمون في الهند.

٢٦(محمد اكبرشاه بخاري: مقالات عثماني، ٣١٥)

٢٧(ظفر أحمد عثماني: إعلاء السنن، ج ١ ، صـ ٤)

٢٨اكبرشاه بخاري: مقالات عثماني، صـ: ٢١٧)

٢٩(الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، صـ: ٤).

٣٠(الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، صـ: ٢٢)

٣١(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١١٢)

٣٢(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ٩٦)

٣٣(عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، صـ: ١٢)

٣٤(عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، "معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف" صـ:. ١٧)

٣٥.(يوسف القرضاوي: كيف نتعامل مع السنة النبوية، صـ: ٢٠٦)

٣٦(احمد رشيد: اسلام، نفت وبازى بزرك نو در آسياى ميانه، صـ: ٦٣)

٣٧(بشير أحمد أنصاري: مذهب طالبان، صـ: ٥٣)

٣٨(مجلة : İstem، عدد: ٢١، صـ ٢٦٤)

٣٩(حمد بن ناصر الدخيل: قضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ١٩٩٤، الرياض، صـ: ٣٦)

٤٠(الحسن الندوي: المسلمون في الهند، صـ: ١٣٨)

المجلات العلمية:

(عدد: ٢١، ص، ٢٦٤، İslam San'at، Tarih، Edebiyat ve Müsiki Dergisi، İstem : مجلة